الباب الثانى

أخلاق الرسول ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

قبس من أخلاق الرسول ﷺ

كما جاء فى القرآن الكريم

كان رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى فى مكارم الأخلاق، وكان صلوات الله وسلامه عليه القدوة والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً، فما من خلق كريم إلا وتحلّى به صلوات الله وسلامه عليه، وما كانت من صفة كريمة إلا وكان له النصيب الأكبر والأوفى فى التحلى بها، لقد كان الصادق الأمين فى طفولته وفى شبابه قبل البعثة وكان الكريم الحليم الرؤوف الرحيم بالمؤمنين فى شيبته وكان فوق كل هذا وذاك ذا الخلق العظيم كما نعته رب العزة تبارك وتعالى. لقد أدبه ربه كما قال صلوات الله وسلامه عليه فأحسن تأديبه يقول ﷺ: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى». لقد روى عنه ﷺ أنه قال: «أدبنى ربى تأديبًا حسنًا إذ قال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما قبلت ذلك منه قال: إنك لعلى خلق عظيم» كيف لا وهو القدوة وكيف لا وهو المثل الأعلى الذى سيقود الأمة والذى سيقتفى أثره ويتحلى بأخلاقه ويتصف بصفاته ويسير على هداه أتباعه وأحبابه المؤمنون الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا بالدين القويم الذى أنزله رب العزة على قلب نبيه ليكون للدنيا هدى وسراجًا منيراً. لقد كان صلوات ربى وسلامه عليه يتصف بكل صفات النبل والخير والسماحة والحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل وكفاه أن كان خلقه صلوات الله وسلامه عليه القرآن.

لقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى الحلم ولين الجانب يقول فى ذلك رب العزة تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وفى تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول ابن كثير يرحمه الله: يقول تعالى مخاطبًا رسوله ممتنًا عليه وعلى المؤمنين فيما الان به قلبه على أمته المتبعين لأمره التاركين لزجره وأطاب لهم لفظه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أى بأى شىء جعلك الله لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم. وقال قتادة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ يقول: فبرحمة من الله لنت لهم وما صلة والعرب تصلها بالمعرفة كقوله: "فبما نقضهم عهدهم" وبالنكرة كقوله: "عما قليل" وهكذا ههنا قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أى برحمة من الله. وقال الحسن البصرى: هذا خلق محمد ﷺ بعثه الله به وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال الإمام أحمد حدثنا حيوة حدثنا بقية حدثنا محمد بن زياد حدثنى أبو راشد الحرانى قال: أخذ بيدى أبو إمامة الباهلى وقال: أخذ بيدى رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبى» تفرد به أحمد ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله تعالى بعد ذلك "غليظ القلب" أى لو كنت سىء الكلام قاسى القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم كما قال عبد الله بن عمرو: إنى أرى صفة رسول الله ﷺ فى الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. ولهذا قال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾. ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث تطييبًا لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر فى الذهاب إلى العير فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون. وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم وشاورهم فى أحُد فى أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو فأشار جمهورهم

بالخروج إليهم فخرج إليهم. وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك. وشاورهم يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين فقال له الصديق: إنا لم نجئ لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين فأجابه إلى ما قال، وقال ﷺ فى قصة الإفك: «أشيروا علىَّ معشر المسلمين فى قوم أبنوا أهلى ورموهم وايم الله ما علمت على أهلى من سوء وأبنوهم بمن؟ والله ما علمت عليه إلا خيرا» واستشار عليًا وأسامة فى فراق عائشة رضى الله عنها، فكان ﷺ يشاورهم فى الحروب ونحوها. وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال: سُئل رسول الله ﷺ عن العزم فقال: «مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم». وقال ابن ماجة عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «المستشار مؤتمن». ورواه أبو داود والترمذى وحسنه النسائى من حديث عبد الملك بأبسط من هذا. ثم قال ابن ماجة: عن أبى عمرو الشيبانى عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «المستشار مؤتمن» تفرد به. وقال أيضًا عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه» تفرد به أيضًا وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أى إذا شاورتهم فى الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى نبل الأخلاق وكرمها فلقد وصفه رب العزة تبارك وتعالى أنه لعلى خلق عظيم واللام هنا المضافة لـ (على) تفيد التأكيد على كرم أخلاق النبى صلوات الله وسلامه عليه، فى ذلك يقول رب العزة تبارك وتعالى مخاطبًا نبيه ذا الخلق الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال العوفى عن ابن عباس وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدى والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد. وقال عطية لعلى أدب عظيم وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن تقول كما هو فى القرآن. وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت:

ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبرينى يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أتقرأ القرآن فقلت: نعم، فقالت: كان خلقه القرآن هذا مختصر من حديث طويل وقد رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بطوله. ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهيًا سجية له وخلقًا تطبعه وترك طبعه الجبلى فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت فى الصحيحين عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشىء فعلته لم فعلته؟ ولا لشىء لم أفعله ألا فعلته، وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكًا ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ. وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبى إسحاق قال سمعت البراء يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا ليس بالطويل ولا بالقصير. والأحاديث فى هذا كثيرة ولأبى عيسى الترمذى فى هذا كتاب شامل، قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شىء قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل. وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» تفرد به.

ويقول القرطبى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة: فيه مسألتان، **الأولى**: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على خلق، على دين

عظيم من الأديان، ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه. وفى صحيح مسلم عن عائشة: أن خلقه كان القرآن. وقال على رضى الله عنه وعطية: هو أدب القرآن. وقيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم. وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه مما أنهى الله عنه. وقيل: أى إنك على طبع كريم. الماوردى: وهو الظاهر. وحقيقة الخلق فى اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقًا؛ لأنه يصير كالخلقة فيه. وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم (بالكسر): السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخيم: اسم جبل. فيكون الخلق الطبع المتكلف. والخيم الطبع الغريزى. وقد أوضح الأعشى ذلك فى شعره فقال:

وإذا ذو الفضولِ ضنَّ على المو ... لى وعادتْ لخيمها الأخلاقُ

أى رجعت الأخلاق إلى طبائعها. قلت: ما ذكرته عن عائشة فى صحيح مسلم أصح الأقوال وسُئلت أيضًا عن خلقه ﷺ؛ فقرأت ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشر آيات وقالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال لبيك، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ولم يُذكر خلقٌ محمود إلا وكان للنبى ﷺ منه الحظ الأوفر. وقال الجنيد: سمى خلقه عظيمًا لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى. وقيل سمى خلقه عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه؛ يدل عليه قوله ﷺ: «إن الله بعثنى لأتمم مكارم الأخلاق». وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

الثانية: روى الترمذى عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». قال حديث حسن صحيح. وعن أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذىء». قال: حديث حسن صحيح. وعنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «ما من شىء يوضع فى الميزان أثقل من

حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصلاة والصوم». قال: حديث غريب من هذا الوجه. وعن أبى هريرة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج» قال: هذا حديث صحيح غريب. وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا - قال - وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون».

ورسول الله ﷺ هو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين من أمته فلقد أعاره رب العزة تبارك وتعالى هاتين الصفتين (رؤوف رحيم) وهما من صفات الله عز وجل ومن أسمائه الحسنى ولم يصف بهما أحداً من خلقه غير النبى محمد ﷺ إعلاءً لقدره ورفعًا لشأنه وقد جاءت هاتين الصفتين بدون (أل) التعريف لأن الرؤوف والرحيم بـ (أل) التعريف هما من أسماء الله الحسنى وحده ومن صفاته تبارك وتعالى، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فى تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول العلامة ابن كثير يرحمه الله: يقول تعالى ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أى منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه للنجاشى والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته وذكر الحديث. وقال سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شىء من ولادة الجاهلية

وقال ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح» وقد وصل هذا من وجه آخر كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى عن على قال: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدنى أبى وأمى لم يمسنى من سفاح الجاهلية شىء»، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أى يعز عليه الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه أنه قال: «بُعثت بالحنيفية السمحة» وفى الصحيح: «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أى على هدايتكم ووصول النفع الدنيوى والأخروى إليكم. وقال الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى حدثنا سفيان بن عيينة عن قطن عن أبى الطفيل عن أبى ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علمًا قال وقال رسول الله ﷺ: «ما بقى شىء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُين لكم». وقال الإمام أحمد: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ألا وإنى آخذ بحجزكم أن تهافتوا فى النار كتهافت الفراش أو الذباب». وقال البزار: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه فى شىء قال عكرمة: أراه قال فى دم فأعطاه رسول الله شيئًا ثم قال: «أحسنت إليك؟» قال الأعرابى: لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابى إلى البيت فقال: «إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت» فزاده رسول الله شيئًا وقال: «أحسنت إليك؟» فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. قال النبى ﷺ: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى أنفس أصحابى عليك من ذلك شىء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم»، فقال: نعم. فلما جاء الأعرابى قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم كان

جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى كذلك يا أعرابى؟ فقال الأعرابى: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال النبى ﷺ: «إن مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإنى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار»، رواه البزار ثم قال:لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه، قلت: " وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم. وقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ كقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥ – ٢١٧].

ورسول الله كان الأسوة الحسنة والمثل الأعلى فى كل هذه الأخلاق الكريمة يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] فى تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول العلامة ابن كثير يرحمه الله: هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله فى أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبى ﷺ يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أى هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ ثم قال تعالى مخبراً عن عباده المؤمنين المصدقين بوعود الله له وجعله العاقبة حاصلة لهم فى الدنيا والآخرة.

ومن صفاته النبيلة وفضل الله عليه ﷺ ما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ

فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] يقول ابن كثير يرحمه الله فى تفسير هذه الآية الكريمة: وقوله: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ وقال الإمام ابن أبى حاتم: أنبأنا هاشم بن القاسم الحرانى فيما كتب إلىَّ حدثنا محمد بن سلمة عن قصة بنى أبيرق فأنزل الله ﴿ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ يعنى أسيد بن عروة وأصحابه يعنى بذلك لما أثنوا على بنى أبيرق ولاموا قتادة بن النعمان فى كونه أتهمهم وهم صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهوه إلى رسول الله ﷺ ولهذا أنزل الله فصل القضية وجلاءها لرسول الله ﷺ ثم امتن عليه بتأييده إياه فى جميع الأحوال وعصمته له وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن والحكمة وهى السنة ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ أى قبل نزول ذلك عليك كقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ﴾ [الشورى: ٥٢]، إلى آخر السورة وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٨٦] ولهذا قال وكان فضل الله عليك عظيما.

ورسول الله ﷺ هو الذى أرسله رب العزة جل وعلا شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً يهدى به القوم بعد ضلال ويضىء به الكون بعد ظلام دامس سحيق فهو المبعوث للناس كافة وليس لأمة بعينها أو جنس بعينه بل جاء لهداية البشر أجمعين، أرسله الله تعالى شاهداً على أمته ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجًا منيراً بالقرآن، بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيراً للكافرين من ويل العقاب. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، وفى تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين من سورة الأحزاب يقول العلامة ابن كثير يرحمه الله: قال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن على عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وحرزاً للأميين فأنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخَّاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا. عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وقد كان أمر عليًا ومعاذاً رضى الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل علىَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. ورواه الطبرانى عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادى عن عبد الرحمن بن صالح الأزدى عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمى بإسناده مثله وقال فى آخره: «فإنه قد أنزل علىَّ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا على أمتك ومبشرًا بالجنة ونذيرًا من النار وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجًا منيرًا بالقرآن» فقوله تعالى: ﴿شَاهِدًا﴾ أى لله بالوحدانية أنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيداً كقوله: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ أى بشيراً للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيراً للكافرين من وبيل العقاب. وقوله جلت عظمته ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أى داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك أى وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس فى إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند.

• • •

• • •

الفصل الثانى

قبس من أخلاق الرسول ﷺ

كما جاء فى السنة المطهرة

فى ذكر مكارم أخلاق النبى ﷺ وتبيان صفاته النبيلة الكريمة جاء فى سنن أبى داود باب (فى الحلم وأخلاق النبى ﷺ): عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا فأرسلنى يومًا لحاجة فقلت: والله لا أذهب وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله ﷺ قال فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون فى السوق فإذا رسول الله ﷺ قابض بقفاى من ورائى فنظرت إليه وهو يضحك فقال يا أنيس اذهب حيث أمرتك قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشىء صنعت لم فعلت كذا وكذا ولا لشىء تركت هلا فعلت كذا وكذا.

حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا سليمان يعنى بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ليس كل أمرى كما يشتهى صاحبى أن أكون عليه ما قال لى فيها أف قط وما قال لى لم فعلت هذا أوألا فعلت هذا.

حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا أبو عامر حدثنا محمد بن هلال سمع أباه يحدث قال قال أبو هريرة وهو يحدثنا: كان النبى يجلس معنا فى المجلس يحدثنا فإذا قام قمنا قيامًا حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه فحدثنا يومًا فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابى قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته، قال أبو هريرة: وكان رداءً خشنًا فالتفت فقال له الأعرابى: احمل لى على بعيرىَّ هذين فإنك لا تحمل لى من مالك ولا من مال أبيك فقال النبى ﷺ: «لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى فكل ذلك يقول له الأعرابى:والله

لا أقيدكها فذكر الحديث، قال: ثم دعا رجلاً فقال له: احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيرًا وعلى الآخر تمرًا ثم التفت إلينا فقال: انصرفوا على بركة الله تعالى.

وجاء فى سنن البيهقى الكبرى باب (بيان مكارم الأخلاق ومعاليها) التى من كان متخلقًا بها: كان من أهل المروءة التى هى شرط فى قبول الشهادة على طريق الاختصار عن طلحة بن كريز الخزاعى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى كريم يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها» هذا مرسل وكذلك رواه الثورى عن أبى حازم.

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم ومعالى الأخلاق ويبغض سفسافها» وكذلك روى عن أبى غسان عن أبى حازم.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا» قال ابن عجلان وقال رسول الله ﷺ: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

عن شقيق عن مسروق قال: سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقًا». رواه مسلم فى الصحيح عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه وأخرجه البخارى ومسلم من أوجه أخر عن الأعمش وقال بعضهم فى الحديث: من خياركم.

عن النواس بن سمعان الأنصارى قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئًا عرفناه فى وجهه. رواه البخارى فى الصحيح عن بندار عن ابن مهدى ورواه مسلم عن زهير بن حرب وغيره عن ابن مهدى.

عن أبى مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستحى فاصنع ما شئت» رواه البخارى فى الصحيح عن آدم.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادمًا قط ولا ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولا نيل منه شىء قط فينتقمه من صاحبه إلا أن يكون لله فإذا كان لله انتقم منه. ولا عرض له أمران إلا أخذ الذى هو أيسر حتى يكون إثمًا فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس منه. رواه مسلم فى الصحيح عن أبى كريب عن أبى معاوية.

عن سليمان بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم. رواه البخارى فى الصحيح عن يحيى بن سليمان ورواه مسلم عن هارون بن معروف وغيره عن ابن وهب.

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع، فإن استقبله بوجهه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له.

عن أنس قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا سبابًا كان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له تربت جبينه. رواه البخارى فى الصحيح عن محمد ابن سنان.

عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «من يحرم الرفق يحرم الخير» رواه مسلم فى الصحيح عن أبى كريب عن أبى معاوية.

عن المقدام بن شريح عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال النبى ﷺ: «يا عائشة عليك بالرفق فإنه لم يكن فى شىء إلا زانه ولم ينزع من شىء إلا شانه» أخرجه مسلم فى الصحيح من وجهين آخرين عن شعبة.

عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى

على العنف وما لا يعطى على ما سواه» رواه مسلم فى الصحيح عن حرملة عن ابن وهب.

عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير»، وقال: «أثقل شىء فى ميزان المؤمن خلق حسن إن الله يبغض الفاحش البذىء».

عن أبى ثعلبة الخشنى أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى أحاسنكم أخلاقًا وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مساوئكم أخلاقًا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون».

عن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه إلى النبى ﷺ: ألا أخبركم بشرار هذه الأمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون أولا أنبئكم بخيارهم أحاسنهم أخلاقًا.

عن إياس بن معاوية بن قرة المزنى قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز فذُكر عنده الحياء فقالوا: الحياء من الدين؟ فقال عمر: بل هو الدين كله. فقال إياس: حدثنى أبى عن جدى قرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فذُكر عنده الحياء فقالوا: يا رسول الله الحياء من الدين؟ فقال رسول الله ﷺ: بل هو الدين كله ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الحياء والعفاف والعى على اللسان لا على القلب والعمل من الإيمان وإنهن يزدن فى الآخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن فى الآخرة أكثر مما يزدن فى الدنيا». قال إياس بن معاوية: فأمرنى عمر بن عبد العزيز فأمليتها عليه ثم كتبها بخطه ثم صلى بنا الظهر والعصر وإنها لفى كمه ما وضعها إعجابًا بها.

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه». هذا يعرف بمسلم بن خالد الزنجى وقد روى من وجهين آخرين ضعيفين عن أبى هريرة.

عن الأعمش عن شقيق قال: قال عبد الله يعنى ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول

الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

عن أبى سهيل نافع بن مالك بن أبى عامر عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان». **رواه البخارى ومسلم فى الصحيح عن قتيبة.**

• • •

• • •

obeikandl.com